نشأة علم اللغة وتطوره عند العرب وغيرهم

بحث في علم اللغة

إعداد أ/ شادية بيومي حامد
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
shadia@mediu.ws

خلاصة—هذا البحث يبحث في الأساس الأول في نشأة علم اللغة وتطوره عند العرب وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: نشأة علم اللغة عند العرب.

I. *المقدمة*

مرت نشأة علم اللغة عند العرب بخمس مراحل : المرحلة الأولى : طور الظهور والوضع، المرحلة الثانية : طور النمو ، المرحلة الثالثة : طور النضج والإبداع اللغوي ، المرحلة الرابعة : طور توسيع مجال الدر اسات اللغوية، المرحلة الخامسة : طور تزاوج الأصالة والتجديد.

II. موضوع المقالة

مرت نشأة علم اللغة عند العرب بخمس مراحل.

المرحلة الأولى: طور الظهور والوضع.

المرحلة الثانية: طور النمو.

المرحلة الثالثة: طور النضج والإبداع اللغوي.

المرحلة الرابعة: طور توسيع مجال الدراسات اللغوية.

المرحلة الخامسة: طور تزاوج الأصالة والتجديد.

أولًا: طور الظهور والوضع:

لم توضع مباحث علم اللغة طفرة واحدة، بل نشأت كأي علم آخر بسيطًا ثم بعد ذلك نما وتطور واكتمل كيانه.

أسباب نشأة علم اللغة: هناك سببان رئيسيان:

سبب ديني: وهو العناية بلغة القرآن الكريم، وخدمتها.

سبب قومي : وهو غيرة العرب الشديدة على لغتهم، وحرصهم على أن تظل صافية نقية.

هل كانت للعرب فكرة عن المعاجم -أي: ذهن معجمي- أم أخذ ذلك عن غيرهم؟ العرب كان عندهم الفكر المعجمي بدليل : سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض الألفاظ وكان يوضحها للصحابة، وسئلت السيدة عائشة عن بعض الألفاظ وكانت توضحها أيضًا؛ "سئلت السيدة عائشة عن الكوثر، فقالت : نهر أُعطيه نبيكم في بطنان الجنة، قالوا لها : وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها". وكذلك أسئلة نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس أيضًا: ما الريش؟ قال: المال. وما الوسيلة؟ قال: الحاجة؛ إذًا كان عند العرب فكر معجمي: اللفظ، ومعناه.

وكذلك في مجالس عبد الملك بن مروان عندما قال لأصحابه أو للذين يجلسون معه في محاضرة ثقافية: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدني؟ فقام له أحد الحاضرين وقال : أنا آتي بها يا أمير المؤمنين ، فلقى بحروف المعجم في جسده - يعني يأتي اللفظ : أذن... أنف... إلى آخره، بعدد حروف المعجم- فقام آخر وقال: أنا آتي بها مرتين. فقام سويد بن غفلة فقال: أنا آتي بها ثلاثًا يا أمير المؤمنين. وقام وذكر حروف المعجم لألفاظ في جسده، فقال: أعطوه ما تمنى.

لِمَ لَمْ تؤلف العرب المعجم؟

لم يكن عندهم قديمًا التأليف المعجمي؛ لأن أدوات الكتاب لم تكن موجودة عندهم، فكانت أدوات الكتابة موجودة عند العراقيين وعند المصريين وعند الفينيقيين؛ إنما في شبه الجزيرة العربية كانت صحراء.

فكانت أدوات الكتابة مفقودة، والكتابة - كما يقال- فن من الفنون الحضارية وكانت توجد حيث توجد الأنهار، حتى عندما جاء الإسلام كان الذين يعرفون الكتابة في مكة كان يعدون على الأصابع.

إذن: أول طور من أطوار التأليف في علم اللغة هو طور الظهور والوضع : وتمثل هذا الطور دراسة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة خمس وسبعي ن ومائة في كتابه (العين)، الذي رتب فيه كلام العرب ووضع باكورة علم الأصوات العربية، ومن ثم يعد الخليل أول مَن وضع علم اللغة وأبرزه إلى الوجود علمًا مصنفًا.

ثانيًا: طور النمو:

يتمثل هذا الطور في مجالين من الدراسة:

المجالات الدلالية:

مثل: (كتاب النبات) لأبي زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ هجرية، وكتاب (خلق الإنسان)، وكتاب (النخل والكرم) للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هجرية، وكتاب (البئر) لابن الأعرابي المتوفى ٢٣١ هجرية.

والبحوث في الاشتقاق:

مثل: كتاب (اشتقاق أسماء البلدان) لهشام الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية، و(اشتقاق الأسماء) للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هجرية، و(اشتقاق الأسماء) لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفى سنة ٢٣١ هجرية.

أول مَ ن أطلق على الدراسات اللغوية اسم "فقه اللغة": هو أبو الحسين أحمد بن فارس، وهي تشمل علم اللغة، وفقه اللغة.

ثالثًا: طور النضج والإبداع اللغوي:

هذا الطور وصلت فيه الدراسات اللغوية إلى درجة راقية اكتملت فيه المقدرة اللغوية، واستطاعت أن تستوعب خصائص اللغة وأسرار العربية، تمثل هذا الطور دراسات أبي الطيب اللغوي المتوفى سنة ٣١٥ هجرية عن الإتباع، ودراسات ابن جني في كتابيه (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب).

وكتابه (الخصائص) يعني خصائص العربية وأسرارها وتعليل الظواهر اللغوية بعللها الحقيقية.

وأيضًا تمثل هذا الطور دراسات ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية، في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)، وأيضًا في معجميه (مقاييس اللغة) و(الأفراد)، كما تمثل هذا الطور دراسات أ بي البركات عبد الرحمن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية في كتابه (أسرار العربية).

وهنا سؤال عن إبداع العرب اللغوي : هل علماء العربية عللوا الظواهر اللغوية بعلل فلسفية، يعني: علل مقتبسة من اليونان أو المنطق الأرسطي؟

لا، إن علل علماء العربية مبنية على الاستثقا ل والاستخفاف؛ ولذل ك قلنا : أدغم التميميون لثقل النطق بالحرفين في ظاهرة الإدغام؛ لأن الإدغام هو النطق بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا، أو إدخال الحرف الأول الساكن في الحرف الثاني والنطق بهما حرفًا وحدًا؛ فهنا العلة: ذهب التميميون من الإظهار إلى الإدغام لثقل النطق؛ طلبًا للتخفيف.

رابعًا: طور توسيع مجال الدراسات اللغوية وإثراء العربية وتكثير مفرداتها:

وتمثل هذا الطور دراسات جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية في كتابه (المزهر).

وقد اشتمل كتاب المزهر على موضوعات متعددة من ظواهر اللغة منها:

أصل اللغة: يعني البحث في نشأة اللغة؛ هل هي توقيف أم مواضع ة واصطلاح... وما إلى ذلك.

الترادف: وهو المعنى المتعدد اللفظ، نقول "ذراع" و"ساعد"، فللذراع هو الساعد، فللمعنى واحد، ونقول "سكين" و"مُدْيَة"، والمعنى واحد. وعندما قدم أبو هريرة من قبيلته دوس عام خيبر؛ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ناولني السكين)) - وكانت السكين في الأرض- فنظر أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يدر ما معنى هذه الآلة؛ فأعاد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الطلب وقال: ((ناولني السكين))، فلم يفهم معنى اللفظ، في المرة الثالثة قال: آلمدية تريد؟! آلمدية تريد؟! أوَتُسمى سكينًا عندكم؟!.

المشترك اللفظي - عكس الترادف- : هو اللفظ الواحد له أكثر من معنى ، مثل: لفظ "العين": تطلق على العين الجارحة، وعلى البئر، وعلى أحد النقدين، وعلى سنام الجمل، وعلى النفيس من كل شيء، نقول : هذه القصيدة من عيون الشعر، أو هذا الرجل من أعيان البلد، يعني: من المعروفين المشهورين في البلد.

والتضاد: هو اللفظ الدال على معنيين متقابلين ، مثل قديمًا: "السدفة": الضوء، عند قيس، و"السدفة": الظلمة، عند تميم.

بعض الأمثلة للتضاد من كتاب (المزهر): "جلل": يطلق على العظيم، ويطلق على اليسير والقليل، قال الشاعر:

فلئنْ عفوتُ لأعف ونَّ جَلَ لا

"لأعفون جللا"، يعني: لأعفون عفوًا عظيمًا؛ لأن الذي يتنازل عن ثأر أخيه عفو ه عظيم.

فهنا معنى جلل: يسير أو حقير.

إذن: تكلم السيوطي في (المزهر) عن كثير من الظواهر اللغوية مثل: ظاهرة المناسبة بين اللفظ ومدلوله، ومعرفة لغات العرب والغرائب والنوا ئب، وتداخل اللغات والمعرب، وتطور الدلالة ومعرفة المولَّد وخصائص اللغة والاشتقاق... وغيرها.

خامسًا: طور تزاوج الأصالة والتجديد:

وتمثله الدراسات اللغوية الحديثة، وهي دراسة بدأت من نقطة انتهاء دراسات القدماء؛ فكانت الموازنة بين اللغات المختلفة، وترجمة المؤلف ات الحديثة من مختلف اللغات في هذا العلم الذي سما وتلألأ في عالم اليوم، على يد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فدرسوا تراثنا اللغوي بعمق ودقة من جميع جوانبه وأبعاده، وكشفوا عن معطيات العلم العربي، وأضافوا إليها ما جاء به العلم الحديث، وفي هذا أصالة وتجديد، وستظل الأجيال تذكرهم بالثناء والعرفان.

إن جميع النظريات الحديثة لها إشارة في الدراسات القديمة، فنظرية الفونيم دراسة حديثة؛ ولكن نجد ابن جني أشار إليها فقال : إن الصوت الساكن ليس مثل الصوت المتحرك، وأنه ينشأ من هذا الصوت صُ وَيت، هو الفونيم. وكذلك في القراءا ت القرآنية أيضًا عندما ندرسها دراسة متعمقة نجد إشارة إلى الفونيم؛ فنجد أن فيها الإشمام ؛ فعند حمزة والكسائي في قوله تعالى : {حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ}: بنطق الصاد بين الصاد والزاي، يعني بزاي مفخمة.

المراجع والمصادر

١. ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: أحمد مختار ع مر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
٢. أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
٣. إبراهيم أبو سكين، اللهجات العربية والقراءات القرآنية ، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، ٢٠٠٦م.
٤. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.
٥. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.
٦. صبحي الصالح، بيروت ، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
٧. إبراهيم أبو سكين، علم الدلالة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٣م.
٨. إبراهيم أبو سكين، علم الصوتيات، وتجويد آيات الله البينات، كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.
٩. كمال بشر، القاهرة، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م.
١٠. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، جامعة الملك سعود، عماد شئون المكتبات، ١٩٩١م.
١١. إبراهيم أبو سكين، علم اللغة، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ١٩٩٧م.
١٢. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، ١٩٧٢ م .
١٣. أحمد علم الدين الجندي، عن التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٤. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.
١٥. رمضان عبد التواب، في أصول اللغة، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.
١٦. إبراهيم أبو سكين، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، دار الفاروق الحديثة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.